سلسلة

نظريات الإسلام العسكرية

(٧)

النظرية الإسلامية في العلم العسكري والقيادة العلمية



اللواء الركن

محمد جمال الدين علي محفوظ

دار الاعتصام

دار الإعتصام
٨ شارع حسين حجازى ـ تليفون ٣١٧٤٨/٢٦٠٣١ ـ ص.ب ٤٧٠ ـ القاهرة
للطبع والنشر والتوزيع

النظرية الاسلامية

فى

العلم العسكرى والقيادة العلمية

سلسلة
نظريات الإسلام العسكرية

النظرية الإسلامية

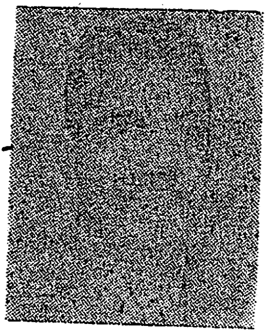
في

العلم العسكري والقيادة العلمية

اللواء أركان حرب
محمد جمال الدين علي محفوظ

دار الاعتصام

بسم الله الرحمن الرحيم



اللواء اركان حرب
محمد جمال الدين على محفوظ

* ولد فى اغسطس ١٩٢٢ ميــلادية ووالده علم من علماء الازهر هو المغفور له الشيخ على محفوظ عضو هيئــة كبار العلماء وأستاذ الوعظ والارشــــاد .

* مدة خدمته العسكرية ٣٣ سنة قضاها فى وظائف القيادة والتدريس والاركان والادارة العليا والتوجيــه المعنوى والحرب النفسية والاعلام .
وقد انتهت خدمته عام ١٩٧٥ م .

* تخرج فى كلية القــادة والاركان فى مصر وحصل على دراسات عسكرية عليا فى اكاديمية ناصر العسكرية .

* حصل على دورات دراسية فى كثير من المعـــاهد الاجنبية لامريكا وانجلترا وروسيا .

* حصل على ماجستير فى العلوم السياسية من جامعة القاهرة .

* عمل مديرا للتوجيـــه المعنوى بعـــد حرب يونيو ١٩٦٧ م فكان من أبرز أعماله أنه أقام منهج اعادة الروح المعنوية على أســـاس منهج الاســـلام .

١ ــ فجعل « الجهاد فى سبيل الله » هى عقيدة القتال للجيش .

٢ ــ وجعل « النصر أو الشهادة » هى شعار الجيش .

٣ ــ وجعل « الله أكبر » هى صيحة القتال .

٤ ــ وجعل لعلماء الدين ووعاظ الجيش دورا كبيرا فى معايشـــة الجيش وربط نشـــاط رجاله فى السلم والحرب بالدين وقد كان هذا المنهج من أهم أسباب النصر فى حرب رمضان .

* المؤلفات العلمية والكتب :

له أكثر من ٢٠ كتابا فى العلوم العسكرية وفى القيـــادة العسكرية وأساليب التعليم والادارة العلمية وفى التوجيه المعنوى وما زال بعض هذه الكتب مقررا للدراسة فى الجيش المصرى .

* تخصص فى دراسة العسكرية الاسـلامية منذ أكثر من ربع قرن ووضع فيها عدة كتب وأبحاث ومقالات فى المجلات الاسلامية فى مصر والعالم العربى كما قدم عددا من الاحاديث الدينية فى الاذاعة والتليفزيون وخاصة برنامج نور على نور وشـارك فى أعمال المؤتمر الاسلامى الدولي الذى عقد فى لندن فى فبراير ١٩٧٩ حول الدفاع والعـالم الاسلامى ببحث عنـوانه « الفكر العسكرى فى الاسلام » والمؤتمر العالمى الثالث للسيرة والسنة النبوية الذى عقد فى الدوحة (دولة قطر) فى نوفمبر ١٩٧٩ .

* يحمل لواء الدعوة الى احياء أمجاد العسكرية الاسلامية باعتبارها جانبا رائدا من الحضارة الاسلامية .

* ومن أحدث مؤلفـاته :

١ ـ كتاب « المدخل الى العقيـدة والاسـتراتيجية العسـكرية الاسلامية » .

٢ ـ كتاب « تربية المراهق فى المدرسة الاسلامية » .

٣ ـ كتاب « العسكرية الاسلامية ونظريات العصر » .

* * *

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى سبقت حكمته أن تكون الأمة الاسلامية ، امة قوية مرهوبة الجانب فاوجب عليها الجهاد فى سبيله ، وأمرها باعداد القوة والمرابطة التى ترهب الأعداء وتخيفهم من عاقبة عدوانهم ، كما فى قوله جل شانه : ((وجاهدوا فى الله حق جهاده هو اجتباكم)) (الحج : ٧٨) وفى قوله سبحانه : ((وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم)) (الأنفال : ٦٠) .

والصلاة والسلام على أشرف المرسلين وامام المجاهدين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .. وبعد ...

● فان الاسلام ، كما نظم أمور الحياة دنيا ودينا ، قد نظم أمور الحرب باعتبارها ظاهرة اجتماعية ، ووضع لها المبادىء والنظريات الأساسية ، التى قامت عليها أول مدرسة عسكرية فى تاريخ العرب مكتملة الأركان وتحتوى على المبادىء النظريات التى تقوم عليها أية مدرسة عسكرية شرقا او غربا .

● وعلى أســاس هذه المبــادىء والنظريات ، قامت الاستراتيجية العسكرية الاســلامية ، التى طبقها المسلمون الأوائل فى معاركهم التى خاضوها اعلاء لكلمة الله وواجهوا بها أعداء يفوقونهم فى العدد والعدة ، فانتصروا عليهم باذن الله ، وامتــدت فتوحاتهم فى أقل من مائة عام من الصــين شرقا الى المحيط الأطلسى غربا ، وهزموا فى المعــركة البحــرية — وهم أبنــاء الصحراء — اسطول بيزنطة أقوى اساطيل زمانه .

● ثم تعــرض العــرب والمســلمون — يوم تخلوا عن الجهــاد — لحرب حضــارية استهدفت طمس معــالم حضارتهم وفرض التبعية عليهم حتى أصبح العسكريون فى كثير من دول العرب والاسلام يدرسون النظريات العسكرية الأجنبية ، وأعمال القادة الأجانب ، والتاريخ العسكرى للدول الأجنبية ، وكأنه ليس للعرب والمسلمين نظريات عسكرية ، ولا قادة ، ولا تاريخ عسكرى يستحق الدراسة !!.

● ان التكليف القرآنى بالجهــاد ، وباعداد القــوة والمرابطة ، تكليف قائم وباق حتى تقوم الساعة .

ومقتضى ذلك الا تفتر عزائم الأمة الاسلامية عن اعداد القوة بعناصرها المتعددة مع الأخذ بكل أسباب التقدم والتطور التى تفرضها طبيعة العصر .

● فواجب الأمة العربية والاسلامية — وهى تتجه نحو

النهضة الحضارية الشاملة ــ أن تتخذ مبادىء العسكرية الاسلامية ونظرياتها منطلقا لبناء قوتها الذاتية .

● فان من أهم ما تتميز به تلك المبادىء أن لها ــ بحكم انبثاقها من الدين ــ من الأصالة ، ما للدين من أصالة ، وأن لها ــ فى كل عصر ــ من القوة والصحة والكمال ، ما يجعل الجيوش التى تعمل بها ــ قوى لا تقهر باذن الله .

● ومن أجل ذلك سوف نتناول النظريات العسكرية الاسلامية بالعرض والدراسة بحيث تصدر على هيئة سلسلة تختص كل حلقة منها باحدى النظريات .

نسأل الله تعالى أن ينفع بها العرب والمسلمين وان يوفقنا جميعا الى كل ما فيه عز الاسلام والمسلمين .

لواء
محمد جمال الدين محفوظ
٣٠ ش الشهيد عبد المنعم اسماعيل
الماظة ــ مصر الجديدة

* * *

العلم والاستراتيجيه العسكريه

- عناية الاسلام بالعلم
- العلوم العسكرية
- الصناعات الحربية
- التاريخ العسكرى وفن الحرب
- المنهج العلمى والاستراتيجية العسكرية
- المنهج العلمى منهج اسلامى
- التطور مبدأ اسلامى

العلم والاستراتيجية العسكرية

يجمع القادة العسكريون ورجال الاستراتيجية العسكرية على أنه « لا يمكن حل مشكلة واحدة من مشاكل البناء العسكرى بدون السيطرة على الطرق العلمية للعمل فى القوات المسلحة وقيادتها ، وأن جوهر القيادة العلمية للقوات المسلحة فى هذا العصر — بكل خصائصه المعروفة — يحتم على القيادات العسكرية أن تكون على مستوى عال من المعرفة ، ليس فى المجال العسكرى الخالص فحسب ، بل فى مجالات كثيرة للعلوم الطبيعية (مثل علم النفس وعلم الاجتماع وفلسفة التاريخ(١) .. »

كذلك يقرر العلم العسكرى أن « الاستراتيجية العسكرية ترتبط ارتباطا وثيقا بالعلوم الاجتماعية والطبيعية »

وسنتناول فى هذا الفصل توجيهات الاسلام فى هذا المجال وخاصة فيما يتعلق بالعلم والمنهج العلمى والتطور .

---

(١) مارشال زاخاروف فى كتابه « حول الطريقة العلمية لقيادة القوات » .

عناية الاسلام بالعلم :

* أوجب الاسلام على المسلمين أن يستعدوا بكل قوة كما قال تعالى :

« وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة » (الأنفال ٦٠)

ومعنى ذلك الا يدع المسلمون غيرهم فى اى علم يكون له دخل فى توفير القوة لهم ..

فليس من شك فى ان العلم هو أول أسباب اعداد القوة ، واذا كانت أدوات القوة ومعدات الحرب تتغير وتتطور على مر العصور فان اعداد القوة ـ باعتباره واجبا مستمرا على المسلمين الى أن تقوم الساعة ـ يتطلب التزود بكل جديد فى العلم والأخذ بأسباب الارتقاء والتطور التى تمكن المسلمين من مواكبة التقدم فى العصر الذى يعيشون فيه ، ويأثم المسلمون اذا تقاعسوا وتخلفوا .

* وقد اهتم الاسلام بالعلم اهتماما بالغا ، فحث عليه ووجه اليه وجعله من أسس الدين نفسه .

ولا أدل على ذلك من ان أول آية نزلت من القرآن الكريم على قلب المصطفى صلى الله عليه وسلم ، تتضمن « القراءة » التى هى مفتاح العلم ، و « القلم » الذى هو آلة العلم والمعرفة والتاريخ والحضارة ، وأن الله الذى علم كل شىء :

« اقرأ باسم ربك الذى خلق . خلق الانسان من علق .

اقرأ وربك الأكرم . الذى علم بالقلم . علم الانسان ما لم يعلم)) . (العلق ١ : ٥)

والآيات والأحاديث التى وجهت الأمة الاسلامية الى العلم كثيرة مستفيضة ، واذا كان العلماء يشهدون التوحيد فان منزلتهم بالمكان السامى ودرجاتهم فى الرفعة والعلو :

((يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات)) . (المجادلة ١١)

ولهذه الجوانب من فضل العلم والعلماء أمر الله سبحانه وتعالى رسوله — وهو قدوة المسلمين وأسوتهم — ان يقول :

((رب زدنى علما)) . (طه ١١٤)

ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم :

— (العلماء ورثة الأنبياء) .

— (فضل العالم على العابد كفضلى على أدنى رجل من أصحابى) .

— (ان الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضاء بما يصنع) .

— (من سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له طريقا الى الجنة . وما اجتمع قوم فى بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه الا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده) رواه مسلم .

ـ (ما اكتسب مكتسب مثل فضل علم يهدى صاحبه الى هدى ، أو يرده عن ردى ، وما استقام دينه حتى يستقيم عقله) .

ـ (يا أبا ذر ، لأن تغدو فتعلم آية من كتاب الله خير لك من أن تصلى مائة ركعة ، ولأن تغدو فتعلم بابا من العلم عمل به أو لم يعمل ، خير لك من أن تصلى ألف ركعة) .

ـ وعن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : (**الكلمة الحكمة ضالة المؤمن فحيث وجدها فهو أحق بها**) رواه الترمذى .

ـ وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (**اذا مررتم برياض الجنة فارتعوا. قالوا : يا رســول الله وما رياض الجنــة ؟ قال : مجالس العلماء**) رواه الطبرانى فى الكبير .

* وقد جعل الاسلام للعلم حرمة تمنع الانسان من أن يدعى أنه قد بلغ فى علمه الغاية التى لا مزيد عليها ، فالعلم الكامل لله وحده ، والأصل فى العقيدة الاسلامية أن الله تعالى وحده هو الذى « أحاط بكل شىء علما » .

أما علم البشر فمحدود بمجال تخصص كل عالم منهم :

« **فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون** » .

وعلى العالم أن يقول لا أعلم اذا سئل عما لا يعلم ،

وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسأل فيما لا يدرى ، فلا يجيب الا أن ينزل وحى فيما سئل عنه :

« يسألونك عن الأهلة قل هى مواقيت للناس والحج »

« يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير » .

كما حث الاسلام على نشر العلم والانتفاع به والعمل به ومن توجيهات رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ذلك :

— **(اللهم انى أعوذ بك من علم لا ينفع ومن قلب لا يخشع ومن نفس لا تشبع ومن دعوة لا يستجاب لها)** رواه مسلم والترمذى .

— **(لا تزول قدما عبد حتى يسأل عن أربع : عمره فيم أفناه ، وعن شبابه فيم أبلاه ، وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه ، وعن علمه ماذا عمل فيه)** .

— **(اذا مات العبد انقطع عمله الا من ثلاث : علم ينتفع به ، وصدقة جارية ، وولد صالح يدعو له)** رواه مسلم

* ومن ابرز خصائص الاسلام توثيقه العلاقة بين حقيقة الدين من ناحية ، والكون الكبير الذى نعيش فيه من ناحية أخرى ، فالنظر فى ملكوت الله ايمان ، والعمل فى جنباته عبادة ، بل ان كسب الدنيا والآخرة منوط بحسن الاستفادة من آيات الله فى البر والبحر ، ومما أكثر ما ورد فى القرآن فى

ذلك ، قال جل وعلا : ((**الله الذى سخر لكم البحر لتجرى الفلك فيه بأمره ، ولتبتغوا من فضـــله ولعلكم تشكرون ، وسخر لكم ما فى السموات وما فى الأرض جميعا منه ، ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون**)) .

والعلم هو مفتاح هذه القوى والخيرات المتاحة ، فهو الذى يفتق الأذهان ويجلو الظلمات ، ويميط اللثام عن وجه الحق فى كل الآفاق .

ومن هنا فان انتشار الاسلام قديما صحبه رقى حضارى بعيـــد المدى ، متعـــدد الجوانب ، بل ان ازدهار المعارف الانسانية مشى فى ركاب الحكم الاسلامى شرقا وغربا ، فاذا طلاب العلوم الطبيعية والاجتماعية يهرعون الى عواصمه بغية الاستفادة فى شتى مجالات العلم .

العلوم العسكرية :

ومن العلوم التى نوه القرآن الكريم بخطرها واشـــاد بقيمة المهارة فيها ، العـــلوم العسكرية والصناعات الحربية والتاريخ وجملة الفنون التى تحتاج اليها الأمة فى الدفاع عن حقوقها ووجودها .

أما العلوم العسكرية ، فللاسلام نظرياته فى العقيـــدة العسكرية وبناء المقاتل واعداد القـــادة والحرب النفســـية والاستطلاع والأمن ومقاومة الجاسوسية والقيادة الحربية والاستعداد القتالى واعداد الأمة للحرب والتدريب على القتال

واقتصاديات الحرب وغير ذلك من النظريات التى تقوم على أساسها المدرسة العسكرية الاسلامية(١) .

الصناعات الحربية :

لقد جعل القرآن العناية بهذا اللون من العلوم آية على صدق الايمان وحسن الجهاد . قال تعالى :

« وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب أن الله قوى عزيز » .

(الحديد ٢٥)

وختم الآية بهذين الاسمين الجليلين (قوى عزيز) اشارة الى أن الله يحب لعباده المؤمنين القوة والعزة وان كل ما يوفر ذلك نظريا وتطبيقا هو من وسائل التقرب اليه ومن دلائل تقواه جل شأنه .

ولقد اثنى الله على عدد من انبيائه الكرام وعباده الصالحين فذكر تفوقهم فى علوم الصناعة وجهودهم فى تطويع هذا التفوق لنصرة الحق ودعم جانبه فقال جل شأنه يصف داود **« وألنا له الحديد أن اعمل سابغات وقدر فى السرد »**

(سبأ ١٠)

والإانة الحديد هى المهارة فى ايجاد شتى الآلات منه

---

(١) انظر الحلقات السابقة من سلسلة « نظريات الاسلام العسكرية » للاطلاع على تفاصيل هذه النظريات .

والوصول بصناعاته الى حد الاتقان دون اعيـــاء أو قصور وذلك لحسن الخبرة وطول الدربة .

وقد أمر الله داود بتقدير السرد اى كلفه باحكام النسج للدروع السوابغ التى ينتجها حتى تخرج فى أعلى مســـتوى مستطاع . وفى موضع آخر يصف داود بنوعين من العبادة والعلم أولهما طول الذكر والتسبيح والآخر اجادة المعـــدات الحربية . قال تعالى :

« وسخرنا مع داود الجبال يسبحن والطير وكنا فاعلين وعلمناه صـــنعة لبوس لكم لتحصنكم من باسكم فهـــل أنتم شاكرون » . (الأنبياء ٨٠)

وعباد الله الصالحون اثبت القرآن صلاحهم وهم يقومون بأعمال رائعة تدل على علم بالحياة وخبرة عميقة بشئونها . فهذا ذو القرنين يقول للذين منوه بالمكافأة اذا بنى لهم سدا يحميهم من أعدائهم :

« ما مكنى فيه ربى خير ، فاعينونى بقوة أجعل بينكم وبينهم ردما » . (الكهف ٩٥)

وهنا يظهر علم الرجل ببناء القلاع فيحول منطقة عمله الى مصانع يصهر فيها النحاس وتغلى المواقد ويقطع الحديد وتمهد الأرض وتسوى جوانب الجبل ويؤدى الرجال الأتقياء واجبهم لله على هـــذا النحو الذى يحمى الضعاف ويصون الحق ويعلى شأن الايمان :

« آتونى زبر الحديد حتى اذا ساوى بين الصدفين قال انفخوا ، حتى اذا جعله نارا قال آتونى أفرغ عليه قطرا . فما اسطاعوا أن يظهروه وما استطاعوا له نقبا » .

(الكهف ٩٦ ، ٩٧)

وأفتى العلماء باتفاق أن اقامة الحرف والصناعات فريضة على المجتمع كله يأثم بتركها ، وعلى الأفراد الصالحين لهذه الفنون بمواهبهم وقدراتهم أن يجودوا فيها ويخدموا أمتهم ورسالتهم بها .

وصحيح أن العرب طلعوا على العالم بالاسلام وكان الناس فقراء الى العلم به والدخول فيه لكن العرب ما كان عليهم من حرج أن يتعلموا من الناس أنواع الخبرة التى لم تهدهم اليها مطالب الصحراء ومجامع البادية ..

وقد مهروا فيما وقفوا عليه ، واستغلوه فى نشر الاسلام وحرب أعدائه . من أين لأبناء الرمال صناعة السفن وقيادة الأساطيل وحرب البحار ؟ لقد رأى العرب — دون انتظار لنص موجه — أن كتابهم لا يعلو فى عالم يجهلون فيه شئونه البحرية فعبدوا الله بالسيطرة على الأمواج ، يقول ابن خلدون : كان الروم مهرة فى ركوب البحر والحرب فى أساطيله ، ولم يكن العرب أول الأمر مهرة فى ركوبه فلما استقر الملك لهم وشمخ سلطانهم صارت أمم العجم تحت أيديهم وتقرب كل ذى صنعة اليهم بمبلغ صناعته .

فاستخدموا فى حاجتهم البحرية كثيرا من هؤلاء وأنشأوا

السفن وشحنوا الأساطيل بالرجال والسلاح وأسسوا دارا لصناعة الآلات البحرية بتونس ومنها كان فتح صقلية أيام زيادة الله بن الأغلب على يد أسد بن الفرات شيخ الفتيا .

ويقول ابن خلدون « ان المسلمين تغلبوا على لجة بحر الروم (يعنى البحر الأبيض المتوسط) وان أساطيلهم سارت فيه جائية ذاهبة من صقلية الى تونس . والرومان والصقالية والفرنجة جميعا تهرب أساطيلهم أمام البحرية العربية ولا تحاول الدنو من أساطيل المسلمين التى ضريت عليهم كضراء الأسد على فريسته » . (ضرى : بفتح الضاد وكسر الراء ، اى لزمه أو أولع به والمراد ان أساطيل المسلمين كانت تطارد أساطيل الأعداء) .

***

التاريخ العسكرى وفن الحرب

وقد حث الاسلام على النظر فى آثار السابقين ، وماذا كانت نتيجة ما صنعوا ، وما كسبت أيديهم ، لاستخلاص الدروس والعبر ، والله سبحانه وتعالى يسمى علم التاريخ العلم بأيام الله فى الشدة والرخاء فى البأساء والضراء فى الهزيمة والنصر ، والعلم بأسباب ذلك كله لنستفيد منه .

يقول الله تعالى :

« لقد خلت من قبلكم سنن فسيروا فى الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين » . (آل عمران ١٣٧)

ـ « يريد الله ليبين لكم ويهديكم سنن الذين من قبلكم ويتوب عليكم والله عليم حكيم » . (النساء ٢٦)

ـ « تلك القرى نقص عليك من أنبـائها ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا من قبل كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين » . (الأعراف ١١)

« وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك وجاءك فى هذه الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين » .
(هود ١٢٠)

« كذلك نقص عليك من أنباء ما قد سبق وقد آتيناك من لدنا ذكرا » . (طه ٩٩)

يستوحى من ذلك أن الاسـلام يوجه ـ فى مجـال الاستراتيجية العسكرية ـ الى دراسة التاريخ وفن الحرب واستخلاص الدروس المفيدة منها .

يقول ماوتسى تونج(١) : « ان القـوانين والنظريات العسكرية ما هى الا حصيلة وخلاصة الحروب الماضية والتى وضعها الأقدمون أو المعاصرون ، وهذه الخلاصة يجب علينا دراستها دراسة عميقة واختبار نتائجها على ضوء ما اكتسبناه نحن من تجاربنا ، ثم استيعاب الجوانب القيمة لهذه النتائج مع رفض الضار منها واضافة ما يمكن اضـافته اليها من

(١) فى كتاب له بعنوان « كتابات حربية مختارة » .

خبراتنا ، وهذه الاضافة هامة جدا ، اذ بدونها لن نتمكن من تطوير وتوجيه الحرب » .

ويقول الفيلد مارشـال مونتجمرى(١) : « ان القيمة الحقيقية للحرب الطويلة فى الماضى هى الخـروج بالحقائق واستخلاص العبر والدروس المفيدة ، وهناك قدر كبير من الخبرة العظيمة والتجارب الكثيرة مدفون تحت أنقاض الماضى السحيق والعصور المتعاقبة للحروب ، ولن يستطيع القادة الاسـتفادة منهـا الا بوجود المؤرخين العسـكريين الذين يخرجونها من تحت أنقاض الماضى » .

وبلغ من اهتمام الدول بالتاريخ العسكرى أن جعلت له ادارات وأجهزة متخصصة تتفرغ لتدوينه .

وقبيل أن تضع الحرب العالمية الثانية أوزارها كانت ادارة التاريخ بوزارة الحرب الأمريكيـة قد جمعت أكثر من مائتين من الضباط والعلماء وناطت بهم مهمة كتابة تاريخها العسكرى وقد استغرق منهم انجاز هذا العمل القومى أربعة عشر عاما ، أتموا خلالها تأليف ٢٧ مجلدا ، بلغت جمـلة تكاليفها نيف و ٥ر٦ مليـون دولار . هذا ولم يكن اهتمام الاتحـاد السوفيتى ولا المملكة المتحـدة بتدوين تاريخهما العسكرى لهذه الحرب بأقل من اهتمام الولايات المتحـدة ، ذلك لأن كافة الدول المتحضرة تعتبر دراسة تاريخها العسكرى

---

(١) فى كتابه الحرب عبر التاريخ .

أمرا بالغ التأثير ، ليس فقط على أمنها القــومى بل وعلى تقدمها وازدهارها أيضا .

والتاريخ العسكرى بالنسبة لصنعة الحرب ، مثــل التشريح بالنسبة لمهنة الطب كلاهما يضفى على من يمارسها خبرة وتمرسا يجنبه مواطن الزلل ، ويدرأ عنـــه احتمالات الوقوع فى نفس الخطأ مرتين ويفتح أمامه آفاقا عريضـــة للابتكار والتطوير والتجـــديد فى مختلف مجـــالات التخطيط للحروب وأساليب ادارة معاركها وعملياتها الحربية بما يحقق الهدف المنشود بأقل تكلفة وفى أسرع وقت . وليس هناك قائد شهير على امتداد تاريخ الصراع البشرى الحافل الا وكانت انجازاته فى مسرح الحرب وليدة اهتماماته الفائقة بدراسة معارك الماضى وشغفه الشديد بالاحاطة التـــامة بكل دقائق الحـــروب وتفاصيلها . وعلى الطرف الآخر يقف القـــادة المنهزمون يعضون بنان الندم لجهلهم بالتاريخ العسكرى الذى أودى بهم ودفع بجيوشهم الى الفشل والهزيمة .

المنهج العلمى والاستراتيجية العسكرية :

أصبحت « القـــدرة على اتخـــاذ قرار ســـليم » من الخصائص الحيوية للرجل العسكرى فى الحرب الحديثة سواء كان قائدا أو جنديا .

واتخاذ القرار عملية عقلية يقدح فيها زناد الفـــكر ، وتدرس فيها المعطيات والعوامل والظروف المختلفة ، وتطرح

فيها الحلول والبدائل المختلفة وتفحص فحصا جيدا لاختيار الحل أو البديل الأمثل .

وقد انقضى العهد الذى كانت فيه الشجاعة والقوة البدنية تشكلان المقومات الأساسية للنجاح فى المعركة ، وأصبح التفكير العلمى هو المطلب الحيوى الأول ، للنجاح فى القيادة والقتال معا .

وقد أهتمت جيوش العالم ـ وخاصة بعد الحرب العالمية الأولى ـ بتنمية التفكير العلمى المنظم فى عقول رجالها ، فأنشأت معاهد عسكرية خاصة(١) لتدريب ضباطها وقادتها على فن التفكير واصدار القرارات ، ويروى أن القائد العام فى احدى الدول العظمى توجه لافتتاح كلية الأركان ـ التى انشئت لأول مرة بعد الحرب الأولى ـ فلم يزد فى خطابه الذى وجهه الى أول مجموعة من الضباط الدارسين على قول كلمتين هما « تعلموا التفكير !! » .

ويقول الفيلد مارشال مونتجمرى(٢) : «لقد اقتنعت بأنه لا يمكن لأى قائد فى القرن العشرين أن يصبح قائدا عظيما وممارسا ممتازا لفن الحرب ، اذا لم يقم قبل كل شىء بالدراسة والتفكير العلمى للحرب » .

---

(١) تسمى فى أغلب الدول بكليات الأركان أو أركان الحرب .

(٢) الحرب عبر التاريخ ـ فيلد مارشال مونتجمرى .

وبعد أن استعرض مونتجمرى مشكلات الحرب الحديثة ومسئوليات القائد حيالها قال : « ينبغى أن يكون القائد مفكرا صافى الذهن تماما ، وأن يكون قادرا على استخلاص وفرز العناصر الجوهرية من وسط أكداس من العوامل والظواهر الأقل أهمية والتى تتصل بكل مشكلة ، وهذه القدرة على استشفاف العناصر الجوهرية يجب الا يصاحبها فقدان الرؤية ، وسوف يفشل القائد — فى الأغلب — اذا لم يكن ذهنه فى صفاء الثلج ، واذا لم يكن تفكيره منظما » .

ويقول الجنرال جان بيريه(١) :

« أن كل مشكلة تتطلب عملية فكرية واسعة ، وتحليلا لكل ما يتعلق بعدد معين من المعطيات الفنية والظروف الخاصة .. ثم يقول :

ان ممارسة القيادة بطبيعتها عمل مزدوج يشمل مرحلتين متميزتين تتطلبان مواقف فكرية متباينة وهما :

— مرحلة الدراسة والتفكير .

— مرحلة القرار والتنفيذ .

ويحدد القائد العسكرى لفكره ثلاث طرق فكرية مختلفة :

١ — طريقة « العالم » الذى يمعن الفكر بالتجارب

---

(١) الذكاء والقيم المعنوية — جنران جان بيريه .

ويستخرج منهـا قواعد عامة ويشترك فى وضع النظريات والقوانين .

٢ ــ طريقة « الطبيب » الذى يحلل ويناقش ويزن المعطيات لحالة خاصة محددة .

٣ ــ طريقة « رجل العمل » الذى يستنتج ويقرر وينفذ .

وجملة القول :

(أ) ان « القدرة على اتخاذ قرار سـليم » من أول ما تطلبه الحرب الحديثـة فى الرجل العسـكرى قائدا كان أو جنديا .

(ب) وان التفكير العـلمى المنظم هو المدخل الصحيح الى القرار السليم .

(جـ) وان عملية التفكير لاتخاذ القرار أو لحل المشكلة يجب أن تسير على المنهج العلمى الذى يقوم على العنـاصر الآتيـة :

١ ــ تحديد المشكلة تحديدا صحيحا .

٢ ــ دراسة وتحليل المعطيات (مثل المعلومات التى لدينا عن قوة العـدو ، وأوضاعه ونواياه) أو وضـع الفروض عن العوامل المحددة للمشكلة ثم اختبـار كل فرض منها .

٣ ــ استعراض البدائل التى تسهم فى حل المشكلة (على ضوء المعطيات أو الفروض الصحيحة) .

٤ ــ اختيار البديل الأمثل .

وهذا المنهج العلمى هو أحد الأسس الرئيسية التى قامت عليها أحدث النظريات العلمية التى تستهدف حل المشكلات ، وتسمى :

« بحوث العمليات » وهى مجموعة من الأساليب الرياضية المستخدمة فى تحليل المشكلات والبحث عن الحلول المثلى لها .

وتعرف بحوث العمليات بأنها « استخدام الطريقة العلمية فى تحليل المشكلات الادارية(١) » وقد أصبحت لبحوث العمليات ــ التى تقوم على أساس المنهج العلمى كما قدمنا ــ أجهزة متخصصة فى كل تنظيم حديث فى الحياة العسكرية والمدنية على السواء .

المنهج العلمى منهج اسلامى :

والواقع أن المنهج العلمى هو منهج اسلامى ، سبق به الإسلام منذ اربعة عشر قرنا .. وليس من شك فى أن الاسلام هو دين الفكر والعقل والعلم ، وقد ارتفع بالعقل وقدره حق التقدير وجعله ميزة للانسان استحق بها الخلافة فى الأرض ، وبها احتمل الأمانة التى عجزت عن حملها الجبال والأرض والسموات :

---

(١) بحوث العمليات ــ د. على السلمى .

« فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الانسان » .

والعقل فى ميزان الاســلام هو التعبــير الواقعى عن الرشد والأهلية لتحمل المسئوليات والتبعات والتكاليف كمــا أن له قيمته فى حركة الحضارات انشاء واضافة وتطويرا .

فقد حث الاســلام على التفكر والتفكير والمشــاهدة والتأمل والنظر فى ملكوت السموات والأرض لاستنباط الحقائق العلمية ، والوصول الى معرفة نواميس الكون وهو ما يفهم من قول الله تعالى :

« قل سيروا فى الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق » .
(العنكبوت ٢٠)

« قل انظروا ماذا فى السماوات والأرض » .
(يونس ١٠١)

« أفلم يسيروا فى الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها » . (الحج ٤٦)

« أفلا ينظرون الى الابل كيف خلقت ، والى السماء كيف رفعت ، والى الجبال كيف نصبت ، والى الأرض كيف سطحت » . (الغاشية ١٧ : ٢٠)

« قل انما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا » . (سبأ ٤٦)

فالقرآن الكريم يأمر ـــ منذ أربعة عشر قرنا ـــ باتباع

المنهج العلمى فى مناحى الحياة ، ويأمر باستخدام العقل وسائر الحواس استخداما أساسه المشاهدة فالعين يجب أن ترى والأذن يجب أن تسمع والعقل يجب أن ينظر ويفكر .

وهذا هو منهج الاستقراء القائم على المشاهدة والبرهان الحسى والتفكير المنظم المبنى على الواقع ، وهو المنهج الذى قامت عليه الحضارة الحديثة كما يشهد بذلك التاريخ والمنصفون من علماء الغرب مثل جوستاف لوبون الذى قال « قام منهاج العرب على التجربة والترصد ، وسارت أوروبا فى القرون الوسطى على درس الكتب والاقتصار على تكرار رأى العلم ، والفرق بين النهجين أساسى ، ولا يمكن تقدير قيمة العرب العلمية الا بتحقيق هذا الفرق ، واختبر العرب الأمور وجربوها ، وكانوا أول من أدرك أهمية هذا المنهاج فى العالم وظلوا عاملين به وحدهم زمنا طويلا ..

ونشأ عن منهاج العرب التجريبى وصولهم الى اكتشافات مهمة ، وسترى من مباحثنا فى أعمال العرب العلمية أنهم أنجزوا فى ثلاثة قرون أو أربعة قرون من الاكتشافات ما يزيد على ما حققه الأغارقة فى زمن أطول من ذلك كثيرا ، ولم يقتصر شأن العرب على ترقية العلوم بما الجامعات وما ألفوا من الكتب فكان لهم الأثر البالغ فى أوروبا من هذه الناحية(١) » .

(١) حضارة العرب ــ جوستاف لوبون .

ـ ويقول الأستاذ الانجليزى بريفولت فى كتابه « بنــاء الانسانية » عن أصول الحضارة الغربية « ان الأوروبيين درسوا عن العرب طرق البحث العلمى التجريبى(١) وانه لم يسبقهم اليه باحث أو مفكر » .

وكانت نتيجة حث الاسلام على العلم وتوجيه المسلمين نحو الكشف عن سنن الله الكونية أن اندفع المسلمون الى البحث فى جمية ميادين الحياة روحية كانت أو عقلية أو مادية ونشأ عن ذلك الحضارة الاسلامية التى أنتجت أمثال جابر ابن حيــان فى الكيمياء وابن الهيثم فى الطبيعيات وأبى بكر الرازى فى الطب ، وابن سيناء فى الطب كذلك والفلسفة ،

---

(١) حاول الغربيون انكار حقيقة أن هذا المنهج منهج اسلامى وضع المسلمون ـ متابعين التوجيه الالهى ـ مبادئه وأرسوا قواعده ، وتتلمذ على أيديهم علماء الغرب ، فنسبوه الى روجيه بيكون ، غير أن روجيه بيكون نفسه اعترف فى صراحة أنه مدين فى منهجه للعرب وللحضارة العربية ، وقال الأستاذ بريفولت فى ذلك « ليس لروجيه بيكون ولا لفرانسيس بيكون الذى جاء بعده الحق فى أن ينسب اليهما الفضل فى ابتكار المنهج التجريبى ، فلم يكن روجيه بيكون الا رسولا من رسل العلم والمنهج الاسلاميين الى أوروبا المسيحية ، وهو نفسه لم يمل قط من التصريح بأن تعلم معاصريه فى أوروبا اللغة العربية وعلوم العرب هو الطريق الوحيــد للمعرفة الحقة » .

والغزالى فى الجانب الروحى ، وابن رشد فى الفلسفة العقلية وابن خلدون فى الاجتماع والتاريخ ، والخوارزمى فى الرياضيات وعشرات غيرهم فى مجالات العلوم الطبيعية والاجتماعية .

وقد استخدم هؤلاء منهج الاستقراء ، ولو قيض الله سبحانه للحضارة الاسلامية أن تسير فى طريقها دون عوائق لكان المسلمون هم الذين غزوا الفضاء ، وكانوا هم الذين وصلوا الى القمر والى غيره مما سخره الله للانسان من كواكب .

ان المنهج التجريبى أو منهج الاستقراء يقوم على تتبع الجزئيات عن طريق التجربة فيما يمكن أن يخضع للتجربة ، وعن طريق الملاحظة فيما لا يتأتى أن يخضع للتجربة ، وعن طريق الافتراض (وفى هذه الحالة يبقى الافتراض مظنونا الى ان تثبته التجربة أو تنفيسه) .. كل ذلك يستهدف الوصول الى الحقائق العلمية والقوانين التى تحكمها .

وقد حدد الحسن بن الهيثم اصول المنهج الاستقرائى تحديدا دقيقا فقال : « نبتدىء البحث باستقراء الموجودات ، وتصفح حال المبصرات وتميز خواص الجزئيات » فهو فى ذلك يدعو الى البدء بدراسة الحقائق الجزئية واستخدام الملاحظة العلمية المقصودة فى دراسة الحقائق تمهيدا لاكتشاف خواصها ومعرفة صفاتها والوصول الى القوانين التى تحكمها .

وقد اشار فى نص آخر الى اهمية التجربة التى يسميها

« بالاعتبار » فى دراسة الظواهر تحت ظروف مختلفة ويوصى باستقراء أكبر عدد ممكن من مفردات الظاهرة التى يعرض الباحث لدراستها تفاديا للخطأ فى نتائج الاستقراء ويطالب الباحث بأن يكون موضوعيا فى دراسته بعيدا عن التحيزات الشخصية فيقول : « ولنجعل غرضنا فى جميع ما نستقريه ونتصفحه استعمال العدل لا اتباع الهوى ونتحرى فى سائر ما نميزه وننتقده طلب الحق لا الميل مع الآراء » .

وجاء فى رسالة اخوان الصفاء الدستور الذى وضعه العرب للبحث العلمى والفسفى وهذا الدستور ينحصر فى تسعة أحكام كما يلى :

السؤال الأول : هل هو : يبحث عن وجدان الشىء أو عن عدمه والجواب نعم أو لا .

السؤال الثانى : ما هو : يبحث عن حقيقة الشىء .

السؤال الثالث : كم هو : يبحث فى مقدار الشىء .

السؤال الرابع : كيف هو : يبحث عن صفة الشىء .

السؤال الخامس : أى شىء هو : يبحث عن واحد من الجملة أو عن بعض من الكل .

السؤال السادس : أين هو : يبحث عن مكان الشىء أو عن رتبته .

السؤال السابع : متى هو : يبحث عن زمـان كون الشىء .

السؤال الثامن : لم هو : يبحث عن علة الشيء المعلول

السؤال التاسع : من هو : يبحث عن التعريف للشيء

التطور مبدأ اسلامي :

ان أهداف العلم والمعرفة والبحث العلمي لا تتوقف عند حد حل المشكلات أو استخلاص النظريات والقوانين ، بل هي تمتد الى تحقيق غاية عليا هي التجديد والتطور .

والحق أن القرآن لم ينبه عقول المسلمين وقلوبهم الى شيء بعد التوحيد مثلما نبههم الى سنة التطور في الكائنات جميعا ، وفي الاكوان قاطبة ، في الانسان الفرد وفي المجتمعات .

وقد دعاهم الى كشف آثار هذه السنة والانتفاع بها وحذرهم من تجاهلها أو الوقوف في وجهها ، وليس ذلك سوى النتيجة الطبيعية لكون الدين دعوة لتغيير الانسان وتغيير القائم الفاسد من عاداته ، والبالي السيء من معتقداته ، والجامد المعوق من أوهامه وتصوراته .

ولذلك كانت لعنات الله تعالى تترى على الذين يأبون التطور والتغيير بحجة أنهم يتمسكون بما ورثوه عن الآباء ، وهو ما يفهم من قوله جل شأنه :

« انا وجـــدنا آباءنا على أمة (١) وانا على آثارهم مقتدون » . (الزخرف ٢٣)

---

(١) أي دين .

« وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا أولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون » . (البقرة ١٧٠)

ووصف الله سبحانه وتعالى المقلدين بأنهم يرددون ما تلقنوه كالببغاوات أو العجماوات فقال جل شأنه :

« ومثل الذين كفروا كمثل الذى ينعق بما لا يسمع الا دعاء ونداء ، صم بكم عمى فهم لا يعقلون » .

(البقرة ١٧١)

وكأن الله يهيب بهم أن فكروا بعقولكم أنتم ، لا بعقول آبائكم وأجدادكم ولا بعقول المجتمع الذى تعيشون فيه .

والرسول صلى الله عليه وسلم يقول **(لا يكون أحدكم امعة ، يقول : أن أحسن الناس أحسنت وان أساءوا أسأت ولكن وطنوا أنفسكم ان أحسن الناس أن تحسنوا ، وان أساءوا أن تتجنبوا اساءتهم)** ـ الامعة هو النكرة يتبع كل ناعق .

ويحظى التطوير بحظ وافر من اهتمام جميع الجيوش فى كل مجالات الاستراتيجية العسكرية وفن الحرب وفى مجالات الصناعة الحربية .

وفى كل الجيوش أجهزة متخصصة للبحوث والتطوير لا تضن عليها الدولة بالمال ولا بالعلماء والمتخصصين ، وذلك لأن التطوير مرتبط بأمنها القومى ويحقق لها ـ بما ينتج عنه

من مخترعات وابتكارات — ميزة التفوق على العدو . على انه مما يجدر ذكره أن منهج الاسلام فى العلم والبحث يؤكد صلتهما بالأخلاق وتلك احدى الخصائص الرفيعـــة والنبيلة للعقيدة والاستراتيجية العسكرية الاسلامية .

ان الحضارة الحديثة تقول ان العــلم لا صـــلة له بالأخلاق ، أو ان العلم لا أخلاقى وهو فى نظرها لا شأن له بالخير والشر ، وذلك يجعله علما ضـــالا مفسدا تسخره الشهوات ويقود الى الخراب(١) والدمار وصدق الله اذ يقول **((أفرأيت من اتخذ الهه هواه وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله أفلا تذكرون)) .** (الجاثية ٢٣)

---

(١) قتل ١٢٠ الف يابانى فى عام ١٩٤٥ بفعل القنبلتين الذريتين اللتين ضربت بهما مدينتا هيروشيما وناجازاكى ، ثم حدث تطور رهيب فى مجال الأسلحة النووية ، ويكفى أن نعرف أن غواصة ذرية واحدة تحمل ١٦ قذيفة كل قذيفة منها مزودة بعشرة رؤوس نووية تستطيع اليوم أن تقصف عددا من المدن أكبر من مجموع المدن التى قصفت بالقنابل فى كل من اليابان والمانيا طوال الحرب العالمية الثانية — كما يكفى أن تعرف أن لدى موسكو وواشنطن من مخزون الســـلاح الذرى ما يدمر العـــالم أكثر من عشر مرات ، ورغم ذلك فما زال السباق لانتاج أبشع الأسلحة النووية دمارا على أشده .

ولكن الاسلام يجعل أسس العلم متسعة بالخير ، ويجعل غايته منغمسة فى الخير ، ويجعل العلم قربى الله ، ويجعل منه عبادة لله .

ثم ان التطوير — من وجهة نظر العقيدة والاستراتيجية العسكرية الاسلامية — يعتبر ضرورة حيوية لسلامة الأمة الاسلامية وأمنها :

(أ) فالتكليف القرآنى للأمة « واعدوا لهم ما استطعتم من قوة » قائم ومستمر الى أن تقوم الساعة ، وهذا يقتضى — منطقيا — أن تتطور القوة فى شكلها ونوعها وتركيبها وأساليب استخدامها لتناسب روح العصر الذى يحتويها ، لأن الأمة الاسلامية ان تخلفت عن مقتضيات عصرها ، فان « القوة » التى أمرها ربها باعدادها تفقد قيمتها وفاعليتها ومن ثم تتعرض الأمة للخطر والهلاك .

(ب) والتطوير يمكن الأمة الاسلامية من أن يكون لها أسرارها الحربية الخاصة التى تعطيها ميزة التفوق على عدوها .

(جـ) كما أن التطوير يحقق للأمة الاسلامية الاكتفاء الذاتى فى مجالات بناء القوة ، فتكون المصادر المختلفة لانتاج القوة فى أرضها ومن ابتكار أبنائها وصنعهم ، وبذلك تتحرر الأمة الاسلامية من التبعية لغيرها ، تلك التبعية التى تنطوى على مخاطر كثيرة وتضعها فى مهب تقلبات المصالح والأهواء وموازين القوى ، ولا تمكنها من الوفاء بالمهمة التى كلفت بها

القيــادة العلميه

- الهدف الأسمى للقيادة الحربية .
- التخطيط .
- التنسيق .
- وضع الرجل المناسب فى المكان المناسب .
- اتخاذ القرارات .
- الرقابة .
- الآثار الاستراتيجية للقيادة العلمية .

القيادة العلمية

الهدف الأسمى للقيادة العسكرية :

يقرر العلم العسكرى أن الهدف الأسمى للقيادة العسكرية هو « الحصول على النصر فى الحرب بدون أو بأقل خسائر ممكنة فى الأرواح والمعدات وفى أقل وقت » . ومن ذلك يتضح أن القيادة العسكرية تسعى بكل ما لديها من فكر ووسائل الى تحقيق النصر بلا خسائر على الاطلاق وتلك أعلى مرتبة من مراتب تحقيق الأهداف ، فاذا لم يتيسر لها ذلك فليكن النصر بأقل قدر ممكن التكاليف أو الخسائر فى الأرواح وفى المعدات وفى أقل وقت .

وعلى هذا الأساس لا يعد نصرا حقيقيا بالمقياس العلمى ذلك النوع من النصر الذى يدفع فيه الجيش ثمنا أكبر من اللازم فى الأرواح أو المعدات أو يستنفد فيه وقتا أطول من اللازم .

ويقرر العلم العسكرى أيضا أن اقتناء الجيوش لأقوى الأسلحة وأحدثها مع الشجاعة والكفاءة فى رجالها ، لا يكفى لكى تحقق فى الحرب هدف النصر بالمقياس العلمى الذى

أوضحناه ما لم يتوافر لهذه الجيوش « أقصى درجات التنظيم وأقصى درجات الكفاءة فى الادارة » .

والحق أن الكفاءة فى « الادارة » عنصر حيوى بالغ الأهميــة عظيم الأثر .. فالجيش بتكوينه من قوة بشرية وأسلحة ومعدات قتال كأنه آلة لا تعمل وحدها بل تحتاج الى من يديرها ، فاذا لم تتوافر فيمن يقوم بعملية الإدارة ، فان الآلة لن تؤدى مهمتها بالدرجة المرجوة .

لذلك فان الادارة السليمة عنصر حيوى لحسن الأداء وللوصول الى النتائج المرجوة بنجاح وكفاية .

فلو تقابل جيشان فى موقعة ، وكان هناك تعــادل بينهما فى قوة الرجال والسلاح ماديا ومعنويا ، فان العامل الذى سوف يحسم الموقف ويرجح كفة أحدهما على الآخر هو « الادارة السليمة » .

وهذا ما عبر عنه روبرت مكنمارا وزير الحربية الأسبق للولايات المتحدة حين قال فى مجال الصراع بينهم وبين الاتحاد السوفيتى ان الولايات المتحدة تمتلك تكنولوجيا عالية جدا ، وكذلك الاتحاد السوفيتى ولكن الذى سوف يحسم المعركة هو الادارة السليمة .

بل ان « الادارة السليمة » قد تحقق النصر لقوة صغيرة على قوة متفوقة عليها فى القــوة لكنها تفتقر الى الادارة السليمة .

عناصر الادارة :

والادارة عملية خلاقة تتطلب قدرات ومهارات قيادية لتوجيـــه الطاقات البشرية والمادية نحو تحقيق الأهداف ، بأعلى قدر من الكفاية وبأقل قدر من الخسائر أو التكاليف .

وبذلك فهى عملية اجتماعية وانسانية من جهـــة ، واقتصادية وسياسية من جهـــة أخرى ، وهى تتطلب فى الادارة الحسنة ان تصبح عملية رشيدة وحاذقة تستطيع أن تستخرج وتستغل فى القـــوة البشرية وفى المعدات اقصى ما لديهـــا من طاقات مادية ومعنـــوية فتحقق بذلك أعظم النتائج .

وبدهى أنه اذا كانت الادارة عملية ضرورية فى مجالات العمل والنشاط المختلفة ، فهى فى مجال الصراع المسلح الذى تحيطه الصعوبات والتعقيدات والمتغـــيرات من كل جانب عملية أشد ضرورة .

وتعرف الادارة بأنها « هى النشاط الذى يخطط وينظم ويراقب العمليات التى يؤديها الأفراد والمواد والآلات ورأس المال ، وهى توفر التوجيـــه والتنسيق والاشراف للعمـــل الانسانى لمساعدته على تحقيق الأهداف العامة » .

من ذلك نستخلص أن عمليـــة الادارة تشـــتمل على العناصر الأساسية الآتية :

العنصر الأول : هدف يراد تحقيقه .

العنصر الثانى : اجراءات أو انشطة يمكن استخدامها لتحقيق ذلك الهدف .

العنصر الثالث : جهد بشرى يعتمد على عدد من الموارد والامكانيات المادية فى أداء الأنشطة المحققة للهدف .

ولعل أهم ما يستبين من هـــذا التحليل هو أن محور العملية الادارية هو « العنصر البشرى » ، وانه لا بد من تحقيق التعاون بين الأفراد والتنسيق بين جهودهم المختلفة وهذه الحقيقة هى التى تضفى على ادارة طابعـــا خاصـــا باعتبارها عملية اجتماعية وانسانية من ناحيـــة واقتصادية وسياسية من ناحية أخرى كما قدمنا .

ولكى تحقق الادارة الأهداف بأعلى قدر من الكفـــاءة فهى تتبـــع اجراءات وتمارس أنشطة ادارية تنطوى على أعمال مادية وفكرية يطلق عليها « العملية الادارية » وأهم عناصر تلك العملية الادارية ما يلى :

التخطيط ــ التنظيم والتنسيق ــ وضع الرجل المناسب فى المكان المناسب ــ اتخاذ القرارات ــ الرقابة .

وتعاليم الاســـلام التى جاءت بكل ما يصلح به حال المجتمع الانسانى من مناهج ، تناولت الادارة وعناصرها على اكمل وجه ، كما قدم الرسول القائد صلوات الله وسلامه عليه أروع الأمثلة فى تطبيق مبادىء الادارة السليمة فى كل المجالات السياسية والاجتماعية والعسكرية .

أولا ــ التخطيط :

التخطيط أسلوب علمي وعملي للربط بين الأهداف والوسائل التي تستخدم لتحقيقها .

والتخطيط بهذا المفهوم هو النظر الى المستقبل والى النتائج التي يرجى بلوغها ثم تحديد الوسائل والأساليب والأعمال التي يؤدى تنفيذها الى بلوغ الغاية المرجوة .. وهكذا فان التخطيط ــ كما يعرفه علماء الادارة هو فى حقيقته « عملية تنبؤ بما سيكون عليه المستقبل مع الاستعداد لهذا المستقبل » .

وطبقا للأصول العلمية لا تصبح الخطة سليمة الا اذا مرت بمراحل معينة تبدأ بتحديد الهدف والحصول على الحقائق والمعلومات ثم استعراض طرق العمل الممكنة وتقدير المشكلات التى تعترضها وحساب الاحتمالات المختلفة ثم الوصول الى القرار بشأن الطريق الواجب اتباعه .

وعملية التخطيط بهذا الوصف عملية عقلية يستخدم فيها الانسان عقله الذى يعد من أعظم نعم الله سبحانه وتعالى عليه والذى ميزه به على سائر المخلوقات .

والناس فى استخدامهم للعقل درجات .. فمنهم من يقصر ذلك على تحصيل المعارف ومنهم من لا يكتفى بالتحصيل بل يضيف اليه الانتاج العقلى ومنهم لا يقنع بذلك بل يرقى الى مستوى استخدام عقله فى التنبؤ وتقدير احتمالات

المستقبل ليس على أساس الرجم بالغيب ولكن على أساس من امعان النظر فى الحقائق والمعطيات والملاحظة الموضوعية والاحاطة بكل أبعاد المشكلة والقدرة على التصور والاستنتاج المنطقى وبعد النظر .

وليس من شك فى أن الطائفة الأخيرة من الناس التى تستخدم العقل الى أقصى طاقاته هى الطائفة الموفقة حقا الى التخطيط العلمى السليم الذى يكفل للعمـل المقرر كل أسباب النجاح وهى أيضا الطائفة التى تقدم أكثر من غيرها أجل الأعمال لصلاح حال المجتمع الذي تعيش فيه .

ولقد اهتم الاسلام بالتخطيط باعتباره مظهرا من مظاهر العـلم الذى كان نزول أول آية فى القرآن الكريم به أعظم دليل على تقدير الاسلام للعلم واهله .

كما اهتم الاسـلام بالعقل — ووظيفته التأمل والنظر والتفكير وهو أيضا أداة التنبؤ — وجعله من أعظم مظـاهر تكريم الخالق سبحانه وتعالى للانسان وتفضيله على سائر المخلوقات كما يفهم من قوله عز وجل :

« ولقـد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحـر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثـير ممن خلقنـا تفضيلا » . (الاسراء ٧٠)

والتأمل والنظر والتفكير هى وظائف العقل الذى كرم الله تعالى الانسان به ولذلك فقد دعا الاسـلام الى النظر والتفكير وعد ذلك من جوهر العبادة كما يفهم من قوله تعالى :

« قل انظروا ماذا فى السماوات والأرض » .
(يونس ١٠١)

الى غير ذلك من الآيات الكثيرة .

ويندد الاسلام بالجمود الفكرى واهمال التجديد والتطور وينعى على المقلدين الذين لا يفكرون الا بعقول غيرهم ويجمدون على القديم المألوف ولو كان الجديد أهدى واجدى لهم كما يفهم من قوله تعالى :

« واذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا أولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون » . (البقرة ١٧٠)

ورسول الله صلى الله عليه وسلم خير قدوة فى العمل بالعلم والتخطيط والسير على المنهج العلمى ، وكان كثيرا ما يعوذ بربه من علم ما ينفع ومن قول لا يشفعه بعمل فقد قال عليه الصلاة والسلام :

(اللهم انى أعوذ بك من علم لا ينفع ومن قلب لا يخشع ، ومن نفس لا تشبع ، ومن دعوة لا يستجاب لها) .

وقال أيضا **(كل علم وبال على صاحبه الا من عمل به)**

وقال عليه الصلاة والسلام **(لا تزول قدما عبد حتى يسأل عن اربع : عمره فيم أفناه ، وعن شبابه فيم أبلاه ، وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه ، وعن علمه ماذا عمل فيه) .**

كذلك فان قوله صلوات الله وسلامة عليه (**اعمل لدنياك كأنك تعيش أبدا**) لا يوحى بضرورة التخطيط للمستقبل القريب فحسب بل للمستقبل البعيد ايضا وهو أرقى درجات التخطيط .

ويعلمنا النبى صلى الله عليه وسلم ان اهمال التخطيط والتواكل والاستكانة وترك الحذر امور ليست من الاسلام ، وانه لا بد من أن نخطط لكل أمر من أمورنا بالأساليب العلمى دون أن نترك شيئا للصدفة .

ولعل ابلغ دليل على ذلك ان سنته صلوات الله وسلامه عليه جرت على التخطيط العلمى لكل عمل وفى كل مجال ، وهو رسول الله الذى يعلم أن الله ناصره وحافظه .

ومن الأمثلة التى تساق فى هذا المجال ، التخطيط النبوى للهجرة من مكة الى المدينة فهو مثل رائع ينطوى على كل أركان التخطيط العلمى الذى لا يدع شيئا لعوامل الصدفة .

* موعد الهجرة أخفاه تماما ولم يعلم به الا ابو بكر وعلى وهو درس فى أهمية السرية والكتمان يؤكده قول الرسول (**أستعينوا على قضاء حوائجكم بالكتمان**) .

* خرج فى الثلث الأخير من الليل الى منزل أبى بكر ومنه خرج من فتحة فى ظهره .

* ترك فى منزله سيدنا عليا نائما فى فراشه مغطى

بغطائه لخداع المحاصرين للبيت فاذا ما نظروا الى فراشه ظنوه راقدا فلا يبحثون عنه .

* لم يتجه فى سيره شمالا وهو الاتجاه الطبيعى والمباشر من مكة الى المدينة ولم يتجه غربا سالكا طريق الساحل بل اتجه جنوبا بشرق وهو اتجاه لا يتصور الانسان أن يلجأ اليه مهاجر يستهدف الشمال ولا يمكن أن يفكر فيه المشركون حينما يكتشفون الأمر فيسارعون الى اللحاق به .

* لم يستمر السير طويلا بل لجأ الى غار ثور ليحقق مزيدا من تضليل قريش فى حالة ما اذا بحثوا عنه فى كل اتجاه ، واختفاؤه السريع بهذه الصورة يحدث صدمة نفسية لهم توقعهم فى بلبلة وذهول وتشل تفكيرهم وتجعل تصرفاتهم عصبية بعيدة كل البعد عن التخطيط الواعى السليم .

* ولقد كان اختياره لمكان ألاختباء غاية فى التفكير الفذ ، فقد اختاره مكانا وعرا ، وحتى الآن اذا ما أراد شاب قوى أن يصعد الى مكان الغار وجد فى هذا صعوبة كبيرة هذا بينما كان الرسول مهاجراً فى سن الثالثة والخمسين من عمره .

* كلف عبد الله بن أبى بكر بأن يقوم بدور رجل المخابرات فيتسمع على ما تقوله قريش فى مكة ثم يذهب ليلا الى الغار ليبلغ الرسول . فالرسول بذلك لم يكن منقطعا عن أحوال أعدائه وهو يعلمنا بذلك أن استمرار استطلاع أخبار العدو ضرورة حيوية تمكن من اتخاذ الاجراءات التى يستلزمها

الموقف فى الوقت المناسب مما يوفر للخطة الأصلية أسباب النجاح .

* وبالفكر العلمى الدقيق لم يفته أن عبد الله بن أبى بكر عند عودته الى مكة كل ليلة سوف يترك آثار أقدامه على الأرض وقد يكتشفها المشركون ، لذلك فقد كان عامر بن فهيرة يرعى غنم أبى بكر نهارا ولما يحين الليل ينتظر عبد الله بن أبى بكر حتى يخرج من الغار فيسير خلفه حتى تزيل الغنم آثاره .

*** كانت أسماء بنت أبى بكر تحضر الطعام الى الغار** فكان لا بد من توقيت دقيق بين الراعى وبين الذى ينقل الأخبار والذى يحضر الطعام .

* بعد مرور ثلاثة أيام خرج الرسول من الغار ومعه ابو بكر واستمر فى السير جنوبا ثم غربا الى الشاطىء ثم شمالا بحذاء الساحل وهو طريق غير مألوف فى المدينة ، ولا شك أن اختباء الرسول ثلاثة أيام فى الغار يضعف من الضغط النفسى على قريش حتى يدب اليأس فى قلوبهم وتفتر عزائمهم فى البحث عنه .

* كان دليل الرسول وصاحبه فى الهجرة الى المدينة عبد الله بن أريقط رغم انه لم يكن مسلما وهو الذى أعد الرواحل التى سافروا عليها .

وهذا الفعل غاية فى التمويه على الأعداء ، فالذى يتصور أن يتجه النظر الى صحابى محل ثقة النبى عليه

الصـــلاة والســـلام ، اما وأن يكون المسئول عن الرواحل والدليل فى الرحلة والشريك فى هذا السر الكبير الذى أخفاه الرسول عن المسلمين غير مسلم فهذا آخر ما كان يمكن أن يرد على ذهن قريش .

* حتى أمر الاتصال بعبد الله بن اريقط فى شـــأن الرواحل خضع لتفكير دقيق فاذا ما اتصل به عبد الله بن أبى بكر ، فقد تستريب قريش ، وكذلك اذا ما حدثته أسماء ، ولكن اذا ما اتصل به عامر بن فهيرة ، وهو راع مثله ومن طبيعة الراعى أن يتحرك ليقابل راعيـــا ، فليس فى الأمر أية ريبة .

* وطوال الرحلة كان الرسول وصاحبه يسريان على سفينة الصحراء الليل كله وينيخان بالنهار للراحة .

* كل ذلك ينهض دليلا على التخطيط الذى أعد لكل أمر عدته حتى تتحقق المهمة بنجاح تام .

* ويعلمنا الرسول أيضا فى مجال الادارة مبدأ تقسيم العمل بحيث تخصص المهمـــة لكل فرد فى الجماعة حسب قدراته وامكانياته الشخصية ، فقد كان لكل فرد ساهم فى عمليـــة الهجرة دور محدود : على بن أبى طالب له دور ، وعبـــد الله وأسماء لهما مهمة ، وكذلك عامر وعبـــد الله ابن أريقط .

* ويعلمنا الرسول أيضا مبدأ التنسيق حسب أحدث الأصول العلمية فلا يقتصر فى التخطيط على تقسيم العمـــل

وتوزيعه ، بل يجب أن ينسق بين مختلف القائمين بالعمل ، ويكون التنسيق فى المكان والزمان وبذلك يخرج العمل منسجماً ومتكاملا .. وهكذا يضع لنا الرسول الكريم القاعدة العلمية التى تقول بأنه بدون عملية التخطيط يصبح العمل بغير هدف واضح وغير منظم ، وبدون عملية التنسيق يكون العمل مبعثرا مشتتا غير منسجم .

ثانيا ـــ التنسيق :

من المسلم به أن أية جماعة لها هدف معين لا يمكنها أن تحقق ذلك الهدف الا اذا توفر عنصر هام فى عملها الا وهو التنسيق ، فاذا لم تعمل الجماعة فى تناسق تام واذا لم تتضافر جهود أفرادها من اجل تحقيق الهدف فسوف لا تنجز الجماعة شيئا يذكر .

ولو أن باحثا أراد الوقوف على أسباب العجز أو الفشل فى أداء المهام وتحقيق الأهداف لوجد على رأس هذه الأسباب اختفاء عنصر التنسيق أو ضعفه ، وكم من جهود وأموال تضيع هباء ، وكم من وقت يذهب سدى بسبب عدم التنسيق ، وكم من تضارب فى القرارات أو ازدواج فى الجهود يحدث بسبب غيبة التنسيق .. وكل هذه الأمور تشكل ـــ فى مفهوم علم الادارة ـــ خسارة كبيرة ، ولا تؤدى الى تحقيق الأهداف المقررة بالكفاية المرجوة .

ومن أجل ذلك فان رجال الادارة يعرفون التنسيق بأنه

« هو الترتيب المنظم لجهود الجماعة للوصــــول الى وحدة العمل من أجل تحقيق هدف معين » .

ولو أردنا أن نتتبع أصول التعاون وجذوره ــ وهو لحمة التنسيق وسداه ــ فى الاسلام لوجدناه يرجع الى بداية الخلق والى حكمة الله تعالى فيه حيث يقول جل شأنه :

« يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله أتقاكم » .
(الحجرات ١٣)

والله تعالى خلق الانسان اجتماعيا بطبعه وفى حاجة دائمة الى من يشاركه حياته والى من يعينه على قضـــاء مطالبه ، ولولا هذا الشعور بحاجته الى غيره ليعينه ويشد أزره ، لعجز عن البقاء يحمل وحده أعباء حيـــاته وتصريف شئونه .

وهكذا ينظم الاسلام العلاقة بين الناس على أساس من التعارف والتعاون والتنسيق وتبادل المنفعة ، كما يرشد الى أن التعاون يكون فى سبيل الخير والبر والتقوى .

كما يفهم من قول الله سبحانه :
« وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان واتقوا الله ان الله شديد العقاب » . (المائدة ٢)

وقد حث رسول الله صلوات الله وســلامه عليه على التعاون والتنسيق فى قوله :

(الله فى عون العبد ما دام العبد فى عون أخيه) .

وقوله **(خير الناس أنفعهم الناس) .**

وقوله صلوات الله وسلامه عليه **(يد الله مع الجماعة)**

وينهى الاسلام عن الفرقة والتنازع فى قوله تعالى :

((ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا ان الله مع الصابرين)) . (الأنفال ٤٦)

ولقد رأينا فى الهجرة كيف كان التنسيق على اكمل وجه.

ثالثا ــ وضع الرجل المناسب فى المكان المناسب :

يعد وضع الرجل المناسب فى المكان المناسب من أعظم مبادىء الادارة السليمة ومن أهم أسباب النجاح فى انجاز الأعمال وتحقيق الأهداف .

ويقوم هذا المبدأ على أساس ألمواءمة بين متطلبات العمل وبين قدرات الفرد الذى سوف يشغل هذا العمل .

فان قيام الفرد بالعمل الذى تناسبه استعداداته وقدراته وميوله ، يمكن من استغلال امكانياته أفضل استغلال مما يرفع من مستوى الأداء ومن مستوى الكفاءة فى تحقيق الأهداف والنتائج المرجوة .

كما أن هناك عاملا معنويا يكمن فى تطبيق هذا المبدأ هو أن التوافق بين الفرد والعمل يحفظ للفرد « صحته

النفسية » كما يقول علماء النفس لأن هذا التوافق سيوفر للفرد المناخ والفرصة لتحقيق ذاته فى ميدان العمل ، وتكيفه وتوافقه مع البيئة التى تحيط به ، وسلوكه بالطريقة التى تتفق مع فكرته عن نفسه ، وشعوره بالسعادة والرضا عن نفسه وعمله وغيره .

ويوضح علماء النفس السر فى أهمية تطبيق وضع الرجل المناسب فى المكان المناسب وضرورته بعرض الحقيقتين العلميتين الآتيتين :

الحقيقة الأولى :

ان هناك ما يسمى « بالفروق الفردية » بين الناس ، وانه من المتفق عليه أنه نادرا ما يتشابه فردان فى جميع الوجوه اذ أن هناك مواضع متعددة للاختلاف بين الأفراد تعود الى الوراثة والبيئة . فالأفراد يختلفون بعضهم عن بعض من حيث الصحة والاستعدادات والقدرات والميول والاتجاهات والشخصية والظروف الاجتماعية ، كما أن هناك فروقا داخل الفرد نفسه هى مواطن الضعف ومواطن القوة فيه .

الحقيقة الثانية :

هى اختلاف المستلزمات والخصائص الجسمية والعقلية والاجتماعية التى تتطلبها الأعمال والمهن المختلفة فى الفرد حتى يستطيع أداءها .

وهكذا يكون من الضرورى مراعاة الفروق الفردية بين الناس ، والفروق فى متطلبات الأعمال .

وهذا هو المدخل العلمى للمواءمة بين قدرات الفـرد ومتطلبات العمل الذى يوكل اليـه ، وبذلك يتحقق مبـدأ وضع الرجل المناسب فى المكان المناسب .

ولقد عنى الاسلام بهذا المبدأ أكبر العناية :

فقاعدة « التكليف بالوسع » التى جاء بها الاسلام فى قوله تعالى :

« لا يكلف الله نفسا الا وسعها » .

تقرر أن الله تعالى لا يكلف الانسان بما فوق طاقتـه وقدراته واستعداده .

كما يلمح قول الرسول صلى الله عليه وسلم **(كل ميسر لما خلق له)** الى المواءمة بين قدرات الفرد ومتطلبات العمل الذى يكلف به .

ويبلغ اهتمام الرسول القائد بهذا المبدأ الى حد انه يعد مخالفته غشا لله ورسوله وللمسلمين كمـا يفهم من قوله صلوات الله وسلامه عليه :

(أيما رجل استعمل رجلا على عشرة أنفس علم أن فى العشرة أفضل ممن استعمل فقد غش الله وغش رسوله وغش جماعة المسلمين) .

ولقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم خير من طبق مبدأ وضع الرجل المناسب فى المكان المناسب ، وسجل عصر النبوة قدرته الفائقة وخبرته الواسعة ، وبصيرته النافذة فى معرفة النفوس والأخلاق والمواهب والقدرات ومعرفة ما يلائمها من المهام والأعمال وكذلك معرفة الوقت المناسب .

وهذا ما عبر عنه الأستاذ العقاد(١) حين قال وهو يتحدث عن عبقرية النبى فى هذا المجال :

« فمن علامات العظمة التى تحيى موات الأمم ان تختص بقدرتين لا تعهدان فى غيرها ، أولاهما أن تبتعث كوامن الحياة ودوافع العمل فى الأمة بأسرها وفى رجالها الصالحين لخدمتها ، والأخرى أن تنفذ ببصيرتها الى أعماق النفوس فتعرف بالبديهية الصائبة والوحى الصادق فيه تكون عظمة العظيم ! ولأى المواقف يصلح ، وبأى الأعمال يضطلع ومتى يحين أوانه وتجب ندبته (أى دعوته للعمل) ومتى ينبغى التريث (الانتظار والتمهل) فى أمره الى حين » .

وقال أيضا عن اختيار الرسول لأبى بكر للخلافة من بعده :

« ان محمدا عليه السلام قد عرف من هم رجاله وما هو الموقف الذى هم مقبلون عليه بعد وفاته ، فعرف الموضع

---

(١) عبقرية عمر — عباس محمود العقاد .

الذى يضع فيه كلا منهم والعمل الذى يتولاه خير ولاية فى ذلك الموضع » .

فلقد كان عليه السلام يعرف فى أبى بكر الرفق والدعة واللين ، ويعرف فى عمر الشدة والقوة والصرامة ، فاختيار أبى بكر للخلافة بعده كان وضعا له فى المكان الذى يناسبه لأن الاســلام كان فى حاجة الى الرفق والدعة والتآلف من أبى بكر ، كما كان فى حاجة الى الشدة والصرامة والقوة من عمر ، وقد ضمن النبى كل ذلك باستخلاف ابى بكر لأن شدة عمر ستكون مع أبى بكر معبأة اذا احتاج اليها .

وحينما أراد الرسول القائد أن يبعث سرية من جنــد جيش الاسلام لاستطلاع أخبار قافلة قريش أختار لقيادتها عبد الله بن جحش لمعرفته بما لديه من خصائص وقدرات تقتضيها تلك المهمة عبر عنها صلوات الله وسلامه عليــه فى قوله :

(لأبعثن اليكم رجلا أصبركم على الجوع والعطش) .

وعن أبى ذر الغفارى رضى الله عنه قال : قلت يارسول الله الا تستعملنى (أى تولينى عملا عاما) قال فضرب بيده على منكبى ، ثم قال : **(يا أبا ذر ، انك ضعيف وانها أمانة ، وانها يوم القيامة خزى وندامة الا من أخذ بحقها وأدى الذى عليه فيها) .**

وفى غزوة أحد نظر الرسول فوجد خالد بن الوليد على ميمنة فرسان قريش وهو يعرف خالدا جيــدا ويعرف أنه

فارس ومقاتل من طراز فريد ، فأراد أن يكون قبالتــه من المسلمين من يستطيع أن يقف أمامه وقفة الند للند ، فاختار الزبير بن العوام وقال له :

(استقبل خالد بن الوليد وكن بازائه) .

وحينما رأى النبى أن يعين احد المسلمين ليأتيه بأخبار المنافقين فى المدينة (أى لوظيفة ضابط مخابرات) اختـــار حذيفة بن اليمان العبسى دون غيره من أصحابه وذلك لأن حذيفة كان يتمتع بمزايا الكتمان الشديد فلا يفشى سره لأحد ، وبحضور البديهية فلا يرتبك فى المواقف الحرجة ، وبتقديره العميق لأهمية صيانة المعلومات عن الأعداء فلا يفشى نياته ونيات المسلمين وأهدافهم ، وبالذكاء الخارق وموهبـــة حب الاستطلاع .

وهكذا يكون وضع الرجل المناسب فى المكان المناسب على أساس المواءمة بين متطلبات العمل وقدرات الفرد .

رابعا ــ اتخاذ القرارات :

ان اتخاذ القرارات هو العنصر الأساسى فى القيادة والادارة ، وهو جوهر عمل القادة فى كل الميادين ، فالقرار هو نقطة البداية والانطلاق لما يأتى بعده من أعمال واجراءات وتصرفات تستهدف تحقيق النتائج المرجوة .

وعملية اتخاذ القرارات ليست بالمهمة اليسيرة لأنها فى حقيقتها عملية اختيار بين أفضل البـــدائل والسبل لتحقيق

الهـــدف ، وهى فى نفس الوقت اختبار لمدى كفاية القـــادة وقدرتهم على تحمل المسئولية والبت فى الأمور .

وتزيد أهمية عملية اتخاذ القرارات وتعظم آثارها تبعا لجسامة المهام وحساسيتها وضخامة أهدافها .

ومن أجل هذا فقد قرر الاسلام مبدأ الشورى وهو خير ضمان لأن تقوم قرارات الرؤساء والقـــادة المسلمين على قاعدة واسعة من الدراسة والفحص والجدل الفكرى .

يقول الله تعالى : « **والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون** » .
(الشورى ٣٨)

« **وشاورهم فى الأمر ، فاذا عزمت فتوكل على الله** » .
(آل عمران ١٥٩)

وكان الرسول القائد عليه الصـــلاة والسلام معنيـــا بالشورى أكبر العناية ومما قاله فيها :

— (**استعينوا على أموركم بالمشاورة**) .

— (**اثنان خير من واحد ، وثلاثة خير من اثنين ، وأربعة خـــير من ثلاثة ، فعليكم بالجماعة فان الله لا يجمع أمتـــه الا على هدى**) .

— (**ما تشاور قوم قط الا هدوا لأرشد أمرهم**) .

ولقد ضرب الرسول صلى الله عليه وسلم أعظم الأمثلة

للقائد الناجح فى تطبيق مبدأ الشورى ، فكان يستعين برأى أصحابه ويتقبل أفكارهم ويعرضها للبحث فاذا ثبتت وجاهتها قبلها والا ردها مع ذكر الأسباب .

ولم يكن صلوات الله وسلامه عليه يصادر رأى أحد أو يحتقر وجهة نظره وذلك كله فيما لم ينزل فيه وحى أما اذا نزل وحى فلا اجتهاد معه ، وكثيرا ما كان يقول لأصحابه (أشيروا على أيها الناس) .

وكان تخطيطه للمعارك والغزوات يقوم على أساس الشورى ليس فقط فى القضايا الاستراتيجية العليا مثل هل يخرج للقتال أم لا او هل يقاتل خارج المدينة أم داخلها ، بل انه كان يأخذ بالمشورة الصالحة فى القضايا التكتيكية أيضا .

ففى غزوة بدر نزل على رأى الحباب بن المنذر حين اشار عليه بأن ينتقل من الموقع الذى اتخذه المسلمون بجوار ماء بدر الى موقع آخر يتحكم تماما فى مياه البئر بحيث يقطع الماء عن قريش فى الوقت الذى ينعم فيه المسلمون بالماء الغزير وقال لحباب (**أشرت بالرأى**) وأمر المسلمين بالانتقال الى حيث أشار الحباب .

وهكذا يقرر الرسول القائد أن الأخذ بالمشورة الصالحة آية من آيات حسن القيادة ، تقترن بآية الابتكار والانشاء ، لأن القيادة الحسنة هى القيادة التى تستفيد من خبرة الخبير ، كما تستفيد من شجاعة الشجاع وهى التى تجند كل ما بين يديها من قوى الآراء والقلوب والأجسام .

ويوجه الرسول القائد فى مجال اتخاذ القرار الى الجسم واجتناب التخبط والتردد الذى يؤدى الى الفشل .

ففى أثناء التخطيط لغزوة أحد كان هناك رأى يقول بالبقاء فى المدينة ورأى آخر يقول بالخروج لقتال قريش عند أحد ، فرجحت كفة الداعين للخروج وبدأ الرسول يستعد للخروج للقتال ، الا أن الذين دعوا الى الخروج ندموا وجاءوا الى النبى يقولون « يا رسول الله استنكر هناك ولم يكن لنا ذلك ، فان شئت فاقعد صلى الله عليك » .

فكان رد النبى حاسما قاطعا حين قال **(ما كان لنبى اذا لبس لأمته — درعه أو سلاحه — أن يضعها حتى يحكم الله بينه وبين أعدائه ، انظروا ما أمركم به فاتبعوه ، والنصر لكم ما صبرتم)** .

وقد برهن الرسول على أن احترام المشورة أمر واجب ، وانه ما دام الرأى قد استقر على شىء فقد لزم السير عليه ووجب اتباعه .

خامسا — الرقابة :

الرقابة من أهم عناصر الادارة ، فلا بد من مراقبة الأعمال التنفيذية وملاحظة القائمين بها للتأكد من أن الأداء يتم بالطريقة الصحيحة مع تصحيح الأخطاء فى الحال قبل أن يستفحل أمرها ، والتأكد أيضا من أن تلك الأعمال قد حققت أهدافها المقررة فى التخطيط .

واهمال الرقابة يؤدى — فى مفهوم علم الادارة — الى خسارة كبيرة بسبب ما يقع من خلل وانحراف فى الأداء وما ينتج عن ذلك من عجز عن تحقيق الهدف المرجو .

والرقابة فى حقيقتها أمانة عظمى فى عنق كل مسئول رئيسا كان أو مرءوسا ، والمدرسة الاسلامية تطالب المسلم بأداء الأمانة وبالاخلاص فى العمل وتدخل الرقابة فى نطاق الوفاء بالعهد وتقدير المسئولية .

وللرقابة فى الاسلام فلسفة لا تتسامى اليها نظريات علماء الادارة فهى تبدأ بضمير الانسان ، فالضمير الدينى للمسلم يدفعه الى أن يرعى الله فى عمله لأنه هو الرقيب المطلع ، ويصوره لنا الرسول الكريم فى العبادة بقوله : **(ان تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك)** .

وهكذا يتخذ المسلم من ضميره رقيبا على عمله ، ويؤمن بأن الله تعالى هو الرقيب الأعظم .

ويستبشر بما وراء ذلك من ثواب عظيم يستبين من قوله تعالى :

« ولمن خاف مقام ربه جنتان » .

والمدرسة الاسلامية بعد هذا ترشد المسلم الى ضرورة قيامه بالرقابة على الأعمال التى تجرى فى نطاق مسئوليته بالاشراف والملاحظة والمتابعة للتأكد من سلامة التنفيذ ولتصحيح الأخطاء والاطمئنان الى بلوغ النتائج المرجوة .

ويقول النبى صلى الله عليه وسلم (**كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته**) .

ويقول (**من رأى منكم منكرا فليغيره بيده ، فان لم يستطع فبلسانه ، فان لم يستطع فبقلبه وهذا أضعف الايمان**) .

ومن هديه صلى الله عليه وسلم فى مجال الرقابة على الأعمال أنه فى أثناء بناء المسجد النبوى أشاد برجل رآه يضرب اللبن بطريقة افضل مما كان يضربه أخوه ، فقال له (الزم هذا فانى أراك تحسنه ورحم الله أمرءا أحسن صنعته) .

وفى غزوة بدر أشرف النبى بنفسه على تنظيم صفوف المسلمين وتعديلها للقتال ، فوجد رجلا اسمه سواد خارجا عن الصف فطعنه بعصا خشبية كانت فى يده وقال : (**استو(١) يا سواد**) .

* * *

الآثار الاستراتيجية للقيادة العلمية

اذا كان الهدف الأسمى للقيادة العسكرية كما قدمنا هو « الحصول على النصر فى الحرب بدون أو بأقل خسائر ممكنة فى الأرواح والمعدات وفى أقل وقت » .

---

(١) لكى يستوى فى الصف .

وإذا كان هذا هو المقياس العلمى الذى يحكم به علم الادارة على أعمال الجيوش ونتائجها ، بحيث لا يعد النصر الذى تدفع فيه تلك الجيوش ثمنا أكثر من اللازم من الأرواح والأسلحة والوقت نصرا حقيقيا ، فان دراسة معارك الاسلام فى عصر النبوة وما تحقق فيها من نتائج ، وما وقع فيها من خسائر يوضح مدى عناية الاسلام بالعلم والادارة العلمية على أحدث أصولها المعاصرة ويؤكد أن معارك الاسلام مثالية بالمقياس العلمى للادارة .

وسوف نتناول هذا الموضوع تفصيلا فيما بعد ، ونكتفى بعرض احصائية بسيطة الغزوات التى قادها الرسول عليه الصلاة والسلام بنفسه كما يلى :

أولا : من بين ثمان وعشرين غزوة قادها النبى ضد المشركين أو اليهود :

(أ) نشب القتال فى تسع منها فقط هى :

بدر — أحد — الخندق — بنى قريظة — بنى المصطلق — خيبر — فتح مكة — حنين — الطائف .

(ب) بينما فر المشركون فى تسع عشرة غزوة منها بدون قتال .

ثانيا : فى الغزوات التى نشب فيها قتال كانت خسائر المسلمين ضئيلة جدا حتى لا تكاد تذكر فى بعض الغزوات (أنظر الجدول) كغزوة بنى المصطلق والخندق وبنى قريظة

والفتح والتي يمكن ــ بالقياس العلمى ــ أن يقال عنها انها حققت أهدافها بلا خسائر .

واقصى ما وصلت اليه خسائر المسلمين فى غزوة أحد التى وقعت فيها مخالفة لتعليمات النبى ولخطته كان بنسبة عشرة فى المائة وهى نسبة مقبولة علميا .

* * *

خسائر المسلمين(١) فى الغزوات التى قادها النبى صلى الله عليه وسلم ونشب فيها قتال

الغزوة	عدد المسلمين	الخسائر	النسبة المئوية
بـــــدر	٣٠٥	١٤	٦٥ر٤
أحـــــد	٧٠٠	٧١	١٠
بنى المصطلق	١٠٣٠	١	١ر٠
الخنـــدق	٣٠٠٠	٦	٢ر٠
بنى قريظة	٣٠٠٠	١	٠٣ر٠
خيبر	١٦٠٠	٢١	٢٥ر١
الفتـــح	١٠٠٠٠	٢	٠٢ر٠
حنـــين			
الطائف	١٢٠٠٠	٤	٠٣ر٠

---

(١) المفروض عند حساب الخسائر أن تشمل البيانات القتلئ والجرحى والأسرى والمفقودين لكن البيانات التى وردت فى مراجع السيرة اكتفت فى أغلب المعارك بذكر من استشهد فيها من المسلمين ومن ثم تكون الاحصائية المقـــارنة التى يحتويها هذا الجدول غير كاملة أو دقيقة بالمفهوم العلمى ، غير انها على كل حال مرشد ودليل على قلة خسائر المسامين بوجه عام .

محتويات الكتاب